



قصة تاريخية :

الجزء !!

للأستاذ محمد فهمي عبد اللطيف

« اسع لي أيها الصديق ، فإنه ليس شأني ولكنه خطر يهدد سمعة الخلافة ويقف في طريق الفتح الإسلامي ، فلن يقدم قائد بعد اليوم كما أقدمت في فتح الفتوح ما دام الجزاء كما ترى ، ولو أني أعرف في جهادي وفي تصرفاتي شبهة أستحق عليها اللوم أو نقمًا يوجب المؤاخذه لأسلمت عنق لسيف الجلاد راضياً مطمئناً قبل أن أسمع قضاء الخليفة عليّ بذلك ، فأنا كما تعرف لست بالرجل الجبان ، ونحن رجال السيف ، لا نقدر طول الحياة بطول أيامها ولا نحرص عليها لما فيها من القاتل والزينة والراحة والرفاهية ، وإنما هي حياتنا نقدر بالأعمال العظيمة ، ونغضى فيها على الخروج من شدة لمواجهة شدة أقسى وأصعب ، وإنني على ثقة من طهارة صحيفتي وبراءة ذمتي ، وسأقف بين يدي الله وكتابي يميني في صفوف المجاهدين الأبرار ، ولكنتي أطمع أن لا أخرج حتى أرى صحيفتي بيضاء أمام الناس وأمام التاريخ ... »

« رحماك يا صاحبي ، لقد شئت بي العذر ، وفرح في المآذل ، وطمع في من لا يدفع عن نفسه ، وتوجع لي الصديق ، وجمع بفاجعتي الأهل والولد ، وإنني لأعرف منزلتك من سليمان بن عبد الملك ، وأقدر فيك الشهامة والمروءة ، وأعتر بجرمتي عندك فبك أستجير من بطشه ، وألجأ إليك في تخليص عنق وتطهير سمعتي ، ورفع ذلك الغرم الثقيل الذي سيضطرني إلى التكف والتكف وسؤال العرب في تحميله عني ، وهل تحسبني أحتمل الحياة وأنا أرى كرامتي تبتذل بالسؤال والتكف ؟ »

قال يزيد بن المهلب : « هون عليك أيها الصديق ، فإنها سحابة سيف عن قريب تقشع ، وما أنت في محنتك بأول مثل بين الناس ولا بآخر مثل سيكون بين الناس ، فهكذا الأمر في محبة الملوك ، وقديماً قيل : إن صاحب السلطان كراكب البحر إن نجا من الفرق لم ينتج من الخوف ، وإني لأعرف في سليمان بن عبد الملك المناد والإصرار على الرأي ، ولكنتي بأذل جهدي عنده وثق أنها ذمة العرب لا نخرمها أبداً ، وعهد الآباء لا نخونه ولو طاح العنق ، ولقد زلت بساحتي ، فإني شريك لك فيما تعاني من محنة ، وإنني لأضع نفسي وولدي ومالي بين يدي الخليفة اقتداء لك ، وأنت آمن في جوارى إن شاء الله »

قال موسى : « إنها يد أحفظها لك ، ومروءة أقدرها عليك »

قال موسى بن نصير : « إنها يا صاحبي محنة أحاطت بي من كل جانب ، ولقد بلغ عنك الخليفة بها فوق طاقتي ، وفوق ما يحتمل الرجل الحر الكريم . عزلني من كل أعمال فأذعنت ، وجردني من كل مالي خفضت ، وأنهمني بالقدر والحياة في مال المسلمين فصبرت ، وأهانني ... أجل ! أهانني فأحتملت الأهانة بالتوجه إلى الله تعالى أن يثيبني عليها ثواب الصابرين ، وإن رجائي في الله العظيم ، ولكن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، فقد فرض عليّ الخليفة غراماً باهظاً من المال لا أملك منه درهماً واحداً ، ثم كانت الداهية الدهيئة ، فإنه يطلبني اليوم ليجز رأسي بالسيف وقد جئت إليك وأنا بين شق الرحى ... »

« وأأسفاه أيها الصديق ، أ يكون هذا جزائي من خليفة المسلمين ومنزلي في القوم بعد أن بذلت ما بذلت من دمي وجهدي ، وخضعت المارك وروحي على يدي حتى فتحت تلك الفتوح العظيمة وضممت الأقطار الشاسعة إلى دولة الخلافة ؟ لقد طلعت بدعوة الإسلام على الملوك من مغرب الشمس وكانوا لا يعرفون مكانها إلا في الشرق ، ولقد وقت بلواء الخلافة في صميم أوروبا وهجمت على ملوكها في عقد دارم ولولا أن استرجعني الخليفة الوليد بن عبد الملك لبلغت في ذلك النهاية ، وبسيفي جلبت إلى ساحة الخلافة كل ما جمع الملوك على طول السنين من النفائس والثروات ، وما حشدوا من المديد والمعدات ، ثم أرى هذا كله بطوى في مطاوي الجحود والتكران ، ونذهب به دسيمة رخيصة من كاشح حقود ، أو عذر كنود ؟ ! »

الحرب والفتح ، وفي شئون من هم تحت طاعتي من الجند وحول من الأعوان ، ولم أكن أجد الفرصة التي أفكر فيها لنفسي ، فلا تسألني الرأي فأني لا أملك الآن معياره ، وقديماً قالوا : إن من الخزم في الرأي أن يكون ميزاناً لا يزن كاملاً ناقصاً ولا ناقصاً لكامل ... » .

قال يزيد : « إنني لم أزل أسمع أنك من أعقل الناس وأعرفهم بمكاييد الحروب ، وأبصرهم بطبائع أهل السلطان ، وأقدرهم على مداورة الدنيا والتصرف لأحداث الحياة وتوازله الدهر ، وإنني والله لأعجب منك كيف وقعت في يد هذا الرجل بعد ما ملكك الأندلس ، ومددت بينك وبين هؤلاء القوم الأقطار الشاسعة والبحار الزاخرة ، وتيقنت بمسد الرام عليهم واستصمابه ، واستخلصت بلاداً أنت اخترعتها وبسطت سلطانك عليها ، وجعلت الإدارة فيها لولدك وهم طوع بيمينك ، ثم ملكت رجالاً لا يعرفون غير خيرك وشرك وحصل في يدك من الذخائر والأموال والمعاقل والرجال ما لو أظهرت به الامتناع لكنت اليوم على رأس دولة يتماظمون هيبتها وخطرها ، وما انتهى بك الأمر إلى هذه الحال

فتضع عنك في يد من لا يرحمك ! ألا ليتك والله فعلتها يا أخى ! » فصاح موسى من قرارة نفسه : « كلا ، كلا ، الويل لي لو فعلتها ! والويل لي لو فعلتها ! وهل كنت تحسبني يا فتى المهلب أروم خطة لنفسى أو أبني دولة لولدى ، ألا ببدأ لي من رحمة الله إن هجس هذا الخاطر بقلبي مرة ، ألا سحقاً لي لو نزلت إلى هذه الشنماء وشققت عصا الطاعة على خلافة الإسلام ، وشطرت الأمر في الحكم إلى شطرين ، يقف كل من صاحبه بالمرصاد ، فاهي إلا مراوغات ومساومات حتى ينقض الأمر من أساسه ، ويذهب سلطان الدين ، وتدول دولة المسلمين ، فالويل لمن يفعلها — فيفتح باب الطريق إلى الهلاك والفناء ... يا ابن المهلب : إنها كلمة الله كنت أسير بها في الآفاق ، وأمهدها سلطان الإسلام ، وأقوى بها رابطة المسلمين ، وأمكن بها لنفوذ الخلافة وهيبتها ، وما كنت أرجو من وراء ذلك مكانة زائفة ومزلة زائلة ، ولكنني كنت أطمع فيها هو أغلى وأعظم ، كنت أطمع في ثواب المجاهدين عند الله ، وما أحسبه سيحرمني من الجزاء وإن حرمته عند صاحب السلطان » .

قال يزيد : « طوبى لك يا ابن نصير ، فاطمئن في مكانك وإنني

وإنني على يقين من نجاح مسماك ، لما أعرفه من منزلتك عند الخليفة وقربك من قلبه واحترام رأيك عنده ، والخير في التمجيل » قال يزيد : « ما كنت أنتظر حتى تتحدث إلي في شأنك فقد كنت أتحدث اليوم إلى الخليفة في هذا الشأن ، وإنني لأذهب لساعتي لأعاود معه الحديث ، وسأخبره أنك استجرت بي ورتت بساحتى وأني قد أجرتك وتحملت عنك ، ولكن ماذا أقول لك ؟ لقد سقطت في تبصر الأمر سقطة هي التي جبلت عليك كل هذا فقد كنت تعرف أن سليمان بن عبد الملك كان ولي المهدي لأخيه الوليد بن عبد الملك ، وأن الوليد كان قد بلغ الغاية في حياته ، بتوقع الناس له الخروج من الدنيا بين كل صباح ومساء ، ولكنك وقفت على الولاء له ، والارتفاع بمكانته ، وأمهلك سليمان على أن تكون له يوم يجلس لشئون المسلمين وأن تدخر الفخر بفتوحاتك الكبيرة لمهده فأبيت ، فأحفظته بهذا عليك ، ولم تقصر في العناد معه مما مكن للحقد في قلبه ، على أنك من ناحية أخرى قد أغضبت مملوكك طارقاً بن زياد يوم صفته بالصوت ، فكان بالقيمة بك عند سليمان » .

قال موسى : « مهلاً يا صاحبي ، فليس هذا وقت تمديد ولا تأنيب ، لقد كنت أعلم الأمر فيها أوضحت ، وكنت أعرف أن شمس الغد ستشرق على سليمان في أمية الخلافة والأخذ بالسلطان على المسلمين ، ولكنني أعرف أيضاً أن من الواجب علينا أن نقدر لكل إنسان يومه ، وأن نحترم لكل سلطان عهده ، وليس من الحق في الإسلام ولا من الخير للمسلمين وجامعتهم أن نضع المصالح العامة موضع الزلنى للأهواء والأعراض ، وليس من اللياقة أن نجلس مع الوريث نرتب شأن التركة وصاحب المال حتى ينتفض ! ! كان ذلك رأيي حتى لا أهتم بالضمف في خاقي ورجولتي ، وهبني أخطأت ، فإنا بمموم » قال يزيد : « إنني ما قصدت بما قلت لك تمديداً ولا تأنيباً وإنما قصدت أن أكشف لك عن السر وأن أرى ما عندك » .

فتملل موسى في مكانه ، وجرض ريقه على غصص ، ثم قال : ترى ما عندى ؟ وماذا تحسب أن يكون عندى وأنا على هذه الحال ؟ إن الإنسان ليرى الرأي القويم الشديد في شأن غيره أما في شأنه هو فإنه يرتبك ويتبلد حتى لا يدري مصدر الأمر من مورده ، فإظنك بي وأنا رجل اعتدت طول حياتي أن أفكر في شئون

لنقاصد إلى الخليفة في شأنك ، ثم عائد إليك » .

ورجع يزيد بعد أن تكلم مع الخليفة في شأن صاحبه ، رجع وعلى شفثيه كلام ، وبين جوامحه هم ممض ، وكان صاحبه في انتظاره على أحر من الجمر ، وجلس الصديقان متقابلين ، يريد موسى من صاحبه أن يتكلم ، ويريد صاحبه ألا يتكلم ...

ومضت فترة كأنها الدهر ، ثم انفجرت شفتا يزيد عن صوت خافت يقول : « لا عليك يا صاحبي فإن الله بتولاك فيما بقى ، ويعلم الله أنى بذلت ما فى طاقتي وأكبر مما فى طاقتي ، وقدمت نفسى ومالى فداء لك عند سليمان ، وإنى فى ذلك لصادق ، وأعلته أنك نزلت بمجوارى ولتت بكنفى واستجرت بحماي وهو يعرف ذمة العرب فى ذلك ، ولكن غضب الملوك أعمى ، قد يحتدم عن غير سبب ، ويمضى إلى النهاية لا يقف به سبب ، ولقد أصر سليمان على موقفه منك ، وأصررت على موقفى منه ، وما زلت به حتى وهبى دمك وحياتك ، ورضى بأن يرفع السيف عن عنقك ، ولكنه أبى أن يخفف المذاب عنك وأن يكف الإهانة والتشهير بك حتى تدفع ما فرضه عليك من الترم كاملا غير منقوص ، وترد إليك ما أخذت من مال المسلمين كما يزعم » .

فصاح موسى صيحة منيطة : « أوهكذا صنع ، أو هكذا أبى وأصر ؟ إنا لله ، أنى لها من دنيا تافهة وحياة رخيصة ذليلة ، بل أنى لجباية الملوك ، ما أعذر وما أخون ، بل ما أصر وما أحقر وهبى يا صاحبي أذنت ، وجئت بالشنماء التى لا تجوز ، فأى رجل هذا الذى لا يسمنى بحمله وهو الذى يسع الخلائق يحمكه ، ألا ليتنى صرت إلى باطن الأرض قبل اليوم ، ولعل الله من على بطئته فارس فى حومة الوغى فصرت مصرع الأبطال ، ولكنه قدّر على كل هذا العناء .. »

« رحماك يا فتى الهلب ، وإنى لشاكر لك سمالك ، وحافظ يدك الثامرة ، فقد أوفيت لى بحق المروءة ، ونهضت نحوى بعهود العرب وذمتهم ، ولكنها لجاجة منى ، والكروب لجوج ، والنفس فى حومة الأسى لا يربطها تفكير ولا رأى ، وماذا تحسبنى بمصطليح أن أصنع ، وليس فى يدى شيء من المال ، وليس لى فى العرب القبيل الذى يحمل عنى ذلك الترم القادح ؟ » قال يزيد : « إنى لأعرف ذلك ، وإنه ليكرب نفسى ، ولقد

مرت فى هودق إليك من عند الخليفة بأحياء العرب ونحدث إليهم فى الأمر ، فتحملت عنك « نلم » تسمين ألفا ذهباً ، ووهبتك من مالى ما زاد على النفقة ، ودفعت بذلك إلى الخليفة حتى يرفع عنك المذاب والإهانة انتظاراً لوفاء ما بقى من الترم الفروض ، وما أحسب أن رؤساء العرب سيردونك إذا قصدتهم وهم الذين يعرفون لك ما أسديت فى الفتح والجهاد ، والله يتولاك فى كشف هذه الغمرة ... » .

رسمع موسى من صاحبه ما تكلم به ، فلم يرد بكلمة ، ولم يزد على أن تتم نعمة غير مفهومة ، ثم صعد من أعماق نفسه آهة محترقة .

وأصبح الصباح على موسى بن نصير ، وهو يطوف بالقبائل ، ويتنقل بين أحياء العرب ، ومعه جند الخليفة والموكلون بشمزيه ، وذلت نفس القائد العظيم الذى فتح الأمصار ودوخ الأقطار ووقف بكلمة الإسلام فى قلب أوروبا حتى بلغت به الحال أن يسأل الناس ما ينجى به نفسه ويخفف من المذاب فى جسمه .. قال غلامه الذى وفى له من دون الناس ، ولازمه فى حالى نعمته ونعمته : « لقد كنت أطوف مع الأمير موسى بن نصير فى أيام محنته على العرب ، فواحد يجيبنا وآخر يحتجب عنا ، ولربما دفع إلينا الترم والدرهمين رحمة بنا فكان الأمير يفرح بذلك ... ولقد كنا أيام الفتوح العظام بالأندلس نأخذ الأسلاب من قصور الإفرنج وخزائن الملوك فنفصل منها ما يكون فيها من الذهب وأشباهه وزمى به ، ولا نأخذ إلا الدر الفاخر .. ولقد رأيت الناس جميعهم يتحرقون على أن يكونوا فى خدمة الأمير أيام دولته ، ثم رأيتهم ينفضون عنه جميعهم أيام محنته .. ولقد نزلنا بوادى القرى نسال العرب ، فزعم رجل كان من قبل فى خدمة الأمير على أن يسله لحقه ، فظنن لذلك الأمير ، فذل له ، وقال : يا فلان : أتسلنى فى هذه الحال ؟ فقال له اللثيم : « لقد أسلك خالك ومالك الذى هو أرحم الراحمين » ، فدمت عينا الأمير ، وجعل يرفعهما إلى السماء ضارعا خاضعا وهو يزعم شفثيه ويتمتم بكلمات غير مفهومة فامسرت تلك الليلة القاسية الحالكة إلا عن قبض روحه .. »

محمد فهمى عبد اللطيف

ظهر مرتين :

أنا عيسى

بقلم الأستاذ

جيتب الزخاوي

مجموعة من روائع القصص

يطلب من مكتب النشر والتوزيع

٥٣ شارع إبراهيم باشا

الافتتاح العظيم للفرقة المصرية
إبتداء من ١٨ أكتوبر ١٩٤٧ والأيام التالية
حيث تقدم المسرح حية الخالدة
الناصر

للساهر الكبير عزيز أباظة باشا

إخراج الأستاذ زكي طليمات

تمثيل : حسين رياض . أحمد علام . أمينة رزق . فردوس
حسن . مسي فهمي . إحسان شريف . فاخر فاخر . سامية
فهمي . محمود رضا . وبقية أبطال الفرقة

بدار الأوبرا الملكية

سكك حديد وتلغرافات وتليفونات الحكومة المصرية

دليل تليفونات القاهرة طبعة يناير ١٩٤٨

يمكنكم ان تحجزوا الأما كن التي تختارونها للإعلان عن أعمالكم في دليل تليفونات القاهرة الذي سيصدر في شهر

يناير سنة ١٩٤٨

والإعلان في الدليل المذكور له مزايا خاصة إذ يتجدد كل يوم طوال مدة مريان الطبعة ويتداوله آلاف المشتركين وبه أما كن
خالية تستطيعون استجارها بأسماء زهيدة .

ولزيادة الايضاح اتصلوا : —

بقسم النشر والاعلانات

بالادارة العامة — بمحطة مصر